مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٨) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٨) 2023

العنوان وأهميّته في النَّص

أ.د. ميساء أحمد عبد القادر*

ايلزا محمد جوهرة**

(تاريخ الإيداع ٨/٩ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ١٠/٢٢ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

يسعى هذا البحثُ إلى تأكيدِ أهميّةِ العنوانِ في فهمِ سياقاتِ النّصوصِ، إذ لم يعد مجرّدَ تسميةٍ اعتباطيّةٍ تعيينيّةٍ للكتابِ، وإنَّما علامةٌ رمزيّةٌ يحاولُ المتلقي فكَّ شفْراتِها وتتبع دلالاتِها، فيبدأ البحثُ بالإشارةِ إلى المعنى اللغويّ للعنوانِ الذي يرتبطُ بمادتين لغويتين، والوقوف على المعنى الاصطلاحي الذي يعدُّ من المفاهيمِ التي حظيت باهتمام واسعٍ من قبل الدّارسين والنّقاد، ويناقشُ أهميّةَ العنوانِ في تحقيقِ عمليّةِ التّواصلِ بين المرسلِ والمتلقي؛ فالعنوانُ علامةٌ لغويّةٌ يقال لها من ناحيةٍ إنَّها تعيينيّةٌ وصفيّةٌ تمنحُ الكتابَ هويّةً، ويتوصّلُ المتلقي من خلالها إلى دلالةِ المتنِ، ومن ناحيةٍ إنَّها إيحائيّةٌ إغرائيّةٌ تعملُ على تشويشِ ذهنِ المتلقي، ودفعه نحو فضاءِ المتنِ لاكتشافِ دلالاتهِ، وينتهي البحثُ بالإشارةِ إلى كيفيّة اختيارِ العنوانِ بما يتوافقُ مع طبيعةِ المتنِ، ودراسةِ بعض العنواناتِ، وبحثِ طبيعةِ العلاقةِ بينها وبين النّص، فقد اختلفتْ طريقةُ صوغِ العنواناتِ مع اختلافِ النّصوصِ.

الكلمات المفتاحيّة: العنوان، النَّص.

* أستاذة- قسم اللغة العربيّة- كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة- جامعة طرطوس- سوريّة.
* * طالبة دراسات عليا (ماجستير) قسم اللغة العربيّة- كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة- جامعة طرطوس- سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٨) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٨) 2023

The title and its importance in the text

Prof. Mysaa Abd Alkader*
Eliza Mohamad Jawhara **

(Received ٩/٨ /٢٠٢٣. Accepted ١٢/١٠/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

This research seeks to confirm the importance of the title in understanding the contexts of the texts, as it is no longer just an arbitrary designation of the book, but rather a symbolic sign that the recipient tries to decipher and trace its connotations. The research begins with reference to the linguistic meaning of the title, which is related to two linguistic subjects, and to stand on the idiomatic meaning, which is one of the concepts that has received wide attention by scholars and critics. It discusses the importance of the title in achieving the process of communication between the sender and the recipient; The title is a linguistic sign that is said on the one hand that it is specific and descriptive that gives the book an identity, and through which the recipient reaches the significance of the text, and on the one hand it is suggestive and seductive that works to confuse the mind of the recipient, and push him towards the space of the text to discover its connotations. The research ends by referring to how to choose the title in accordance with the nature of the text, studying some book titles and examining the nature of the relationship between them and the text, so that the recipient finds that the method of formulating the title varies with the text.

Keywords: title, text.

* Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tartous University, Syria.
** Postgraduate Student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tartous University, Syria.

مُقَدِّمَةٌ:

تعدُّ مسألةُ العنونةِ حاجةً مرغوبةً لجأ إليها الكُتَّابُ مع بدايةِ الاهتمامِ بالتَّدوين للحفاظِ على نتاجهم المعرفي من الضّياعِ، ومع تطوّر الاهتمام بالعنونةِ كان جديراً بالمؤلفِ أن يلتمسَ غاياتٍ يكون فيها رواج للنصّ، وتعبير عنه؛ لذلك أصبحَ أكثرَ دقّةٍ في اختيار المتخالفاتِ من الألفاظِ وانتقاءِ أفضلها لتكون حسنةً من جهةٍ، وتشدَّ انتباه المتلقي من جهةٍ أخرى، وبذلك انتقلَ العنوانُ من كونهِ علامةً لغويّةً تعيّنُ النَّصَ وتشيرُ إليه وتمنحه هويّة، ليصبح علامةً لغويّةً وصفيّة تجمعه مع النَّصِ علاقة إغرائيّة دلاليّة، فقد أتى بالعنوانِ ليكونَ معادلاً للنصِ يجري مجرى النَّصِ في كونه صورة تهدفُ إلى الإبانةِ والتَّصريحِ، وأداة تساعدُ المتلقي على استشراف آفاقِ النَّصِ وبناه ومعناه، وعلامة تشدُّ انتباهه.

أَهَمِّيَّةُ الْبَحْثِ وأهدافه:

تعدُّ دراسةُ العنوانِ مجالاً خصباً للبحثِ، فقد أصبحَ معادلاً للنص من حيث التَّكثيف والإيحاءِ، وعلامةً لغويّةً تُبلغُ غاية المؤلفِ، وتعطي المتلقي علماً بالنَّصِ ومعانيه ومبانيه وأفكاره، لذلك يحتاجُ إلى العنوان ليس للتعيين فقط، وإنَّما لإشراك المتلقي في القراءةِ، وإعادة إنتاجِ أفكار قد لا تقعُ في ذهن صاحب العملِ، ومن هنا تكتسبُ الدّراسةُ أهميتها، وتهدفُ إلى تقديمِ قدرٍ من التَّصوراتِ والأسس الفعليّة والمفاهيم والأفكارِ التي تؤكّدُ امتلاكَ العنوانِ قيمةً دلاليّةً ووظيفةً تواصليّةً قصديّةً.

مَنهَجِيَّةُ الْبَحْثِ:

سيعتمدُ هذا البحثُ المنهجَ الوصفي الذي يساعدُ على وصف العنوانِ وصفاً دقيقاً، وبحث العلاقة بينه وبين النَّص.

العنوانُ لغةً:

إنَّ الأساسَ اللغويّ المعجميّ للعنوانِ يرتبطُ بمادتينِ لغويتينِ هما: مادةُ "عَنَنَ" ومادةُ "عَنَا"؛ وهذا ما أشارَ إليهِ ابنُ منظور، فنجدُ مادةَ عَنَنَ: "وعَنَنْتُ الكتابَ وأَعْنَنْتُه لِكَذَا أَي عَرَّضْتُه لَهُ وصرَفْته إليه. وعَنَّ الكِتابَ يَعُنُّه عَنّاً وعَنَّنه: كَعَنْوَنَه، وعَنْوَنْتُه وعَلْوَنْتُه بِمَعْنًى وَاحِدٍ، مُشْتَقٌّ مِنَ المَعْنى. وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: عَنَّنْتُ الكتابَ تَعْنيناً وعَنَّيْتُه تَعْنِيَةً إذا عَنْوَنْتَه، أَبدلوا مِنْ إحدى النُّونَاتِ يَاءً، وسمي عُنْواناً لأَنه يَعُنُّ الكِتابَ مِنْ ناحِيتيه"[١]

() لسان العرب: ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط3، ٢٠٠٤م، مج١٠، مادة عنن.

وذكرَ الرّازي في مادةِ "عَنن": "وَ(عُنْوَانُ) الْكِتَابِ بِالضَّمِّ هِيَ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ وَقَدْ يُكْسَرُ. وَيُقَالُ أَيْضًا: عِنْوَانٌ وَ (عِنْيَانٌ) . وَ(عَنْوَنَ) الْكِتَابَ يُعَنْوِنُهُ وَ(عَنَّنَهُ) أَيْضًا، وَ(عَنَّاهُ) أَبْدَلُوا مِنْ إِحْدَى النُّونَاتِ يَاءً" [1].

وقد وردَ هذا الجذر اللغوي عند أبي العبَّاس الفيُّومي "عَنْوَنْتُ الْكِتَابَ جَعَلْتُ لَهُ عُنْوَانًا بِضَمِّ الْعَيْنِ وَقَدْ تُكْسَرُ. وَعُنْوَانُ كُلِّ شَيْءٍ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ وَيُظْهِرُهُ." [2]

وتظهر لنا مادةُ "عنا": " العُنْوانُ والعِنْوانُ سِمَةُ الكِتابِ، وعَنْوَنَه عَنْوَنَةً وعِنْواناً وعَنَّاهُ ، كِلاهُما : وَسَمَه بالعُنوان. وقال أَيضاً : والعُنْيانُ سِمَةُ الكتاب ، وقد عَنَّاه وأَعْناه ، وعَنْوَنْتُ الكتاب وعَلْوَنْته . قال يعقوب : وسَمِعْتُ من يقول أَطِنْ وأَعِنْ أَي عَنْوِنْه واخْتِمْه. قال ابن سيده : وفي جَبْهَتِه عُنْوانٌ من كَثْرَةِ السُّجودِ أَي أَثَر" .

العنوان اصطلاحا:

يعدُّ مفهومُ العنوانِ من المفاهيمِ التي حظيتْ باهتمامٍ واسعٍ من قبلِ الدّارسين والنّقاد، فقد تضافرت الجهودُ العربيّةُ والغربيّةُ لتحديدِ معالمِ مصطلحِ العنوانِ، ورسمِ أفقِ دلالاتهِ، ومن خلال محاولتنا الكشف عن ماهيةِ العنوانِ ومقاصدِه بين المشتغلين في حقله الدّلاليّ المعرفيّ، تبيّنَ لنا أنَّ هذا المصطلحَ في مرحلةِ التَّكوّن؛ لذلكَ فإنَّ التعريفات والتّحديدات تخضعُ للتجدد والإضافات الدائمة، لكنَّ هذا لا يعني وجود اختلافٍ في جوهر التّعريفِ، فهو علامةٌ لغويّةٌ لها وظيفةٌ قصديّةٌ تتحققُ من خلالِ تمكّن المرسل إليه من فهم هذه الإرساليّة اللغويّة، وفك الشّفرة الدّلاليّة المرتبطةِ بها ؛ لذلك انصرفَ الدّارسون للوقوف عند مدلول العنوانِ ومناحيه، فقد أشار الدكتور عبد الحق بلعابد إلى تعريف مؤسس علم العنونة ليو هويك (Leo. H. Hoek) للعنوان بأنّهُ: "مجموعةُ العلاماتِ اللسانيّة، من كلماتٍ وجملٍ وحتى نصوصٍ، قد تظهر على رأسِ النَّصِ لتدلَّ عليهِ وتعينه، تشير إلى محتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف" ، وذلك في كتابه "la marque du titre"، وهذا ما يؤكّدُ أنَّ الكتبَ تتفاضلُ في لبابها بالمتن والعنوان، فالعنوانُ الجيّدُ صورةٌ تمثّلُ النَّصَ ؛ لذلكَ يحاولُ الكُتَّابُ انتزاعَ العنوان من المتن، وقد يفرغُ المؤلفُ معنى النَّص في العنوانِ، وهذا ما أشار إليه كلود دوشيه (Claude Duchet) في تحديده لمفهوم العنوان، بقوله: هو "عنصرٌ من النَّصِ الكلّي الذي يستبقه ويستذكره في آنٍ، بما أنَّهُ حاضرٌ في البدءِ، وخلالِ السَّردِ الذي يدشنهُ، يعملُ كأداةِ وصلٍ، وتعديلٍ للقراءة" [5] ، فقد تبيّن لنا أنَّ المؤلفَ يَستقِي العنوانَ من النَّصِ، ويجعلهُ في بدايةِ نصّه، وتكونُ غايةُ العنوانِ بما أُريد به من الإشارة إلى النَّص، وتوجيه المتلقي نحوهُ، وتحقيق غرض المؤلف والنَّصِ معاً.

ويعدُّ التّعريف الّذي وضعهُ النَّاقد والمفكّر الإشكاليُّ رولان بارت (Roland Barthes) من التّعريفات التي لفتت انتباه الدّارسين، فالعنوان من منظوره "عبارةٌ عن أنظمةٍ دلاليّة سيميولوجيّة تحملُ في طيّاتها قيماً

---

(1) مختار الصحاح: محمّد بن أبي بكر الرّازي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م، مادة عنن.

(2) المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، صححه: حمزة فتح الله، راجعه: محمد حسنين الغمراوي بك، المطبعة الأميريّة، القاهرة، ط٦، ١٩٢٦م، ج٢، مادة عنن.

(3) لسان العرب: ابن منظور، مج١٠، مادة عنا.

(4) عتبات (جيرار جينيت من النّص إلى المناص): عبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف- الدار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر- بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص٦٧.

(5) شعرية النّص الموازي (عتبات النَّص الأدبي): جميل حمداوي، دار الرّيف للطبع والنّشر الإلكتروني، المملكة المغربيّة، ط٢، ٢٠٢٠م، ص٧٤.

أخلاقيّة واجتماعيّة وأيديولوجيّة" ، ويؤكّد بارت من خلال هذا[١] التّعريف أنَّ العنوان ليس مجرّدَ علامةٍ تعيينيةٍ اعتباطيّة، وإنَّما يقدّم للمتلقي عدّةَ دلالاتٍ رمزيّة واجتماعية وفكريّة تقود المتلقي نحو فضاء واسعٍ من الدلالاتِ.

ومن البيّن أنَّ التّعريفات السّابقة أجمعتْ على دلالةٍ واحدةٍ للعنوان، ولم يتوقف الاهتمام بعلم العنونة عند اللغويين الغربيين، بل بدأت الدراساتُ العربيّةُ توجه اهتمامها نحو دراسة العنوان، والكشف عن أهميتهِ ومقاصدهِ، والبحث عن أسبابِ اختياره وأنواعه ووظائفه، ولعلَّ النّاقد بسام قطوس من أوائل النّقاد الذين اهتموا بالعنوان، وأسهموا في التأسيس لعلم العنونة، وذلك من خلال كتابه (سيمياء العنوان)، الذي يعدُّ مرجعاً مهمّاً للدارسين والمهتمين بالعنونة، وينوه إلى معنى العنوان بقوله إنَّهُ "ذو حمولاتٍ دلاليّة، وعلامات إيحائيّة شديدة التّنوع والثراء، مثله مثل النَّص، بل هو نصٌ موازٍ، كما عند جيرار جينيت، وإذا كانَ النَّصُ نظاماً دلالياً وليس معاني مبلغة، فإنَّ العنوان كذلك نظامٌ دلاليٌّ رامزٌ له بنيته السّطحيّة، ومستواه العميق مثله مثل النَّص تماماً" ، فلا يكونُ القصدُ من العنوانِ التّعيين، بل يريدُ المؤلفُ من خلالِ صياغته أنْ يقدّمَ جملةً من الدلالاتِ والإيحاءاتِ؛ لذلك لا بدَّ من امتلاكِ المتلقي وعياً كافياً يمكّنه من فهمِ هذه الإرسالية.

وينوّه الدّكتور محمد فكري الجزار إلى معنى العنوان بقوله هو: "مرسلةٌ مستقلةٌ مثلها مثل العمل الذي يعنونه، ودون أدنى فارق، بل ربّما كان العنوان أشدّ شعريّة وجماليّة من عمله في بعض الإبداعات التي يتوقف اكتشاف المدخل النّقدي إليها على بناء نصيّة العنوان أوّلاً وقبل أي شيء آخر" ، فقد أشارَ إلى فضلِ العنوانِ[٣] على النَّص في بعض الأعمال، وتقدّمه عليه في شعريته وكَوْنِهِ أكثر كثافة دلاليّة، فهو يمثلُ نصّاً مستقلاً، يُعرِبُ عمَّا في المتنِ من أفكارٍ ومعانٍ.

ومن النّقاد المعاصرين النَّاقد المصري عبد النّاصر حسن محمد، الذي يرى أنَّ "العنوانَ يحدّدُ القصيدة بمعنى أنَّهُ يسميها، ويخلق أجواءها النَّصيّة والتّناصيّة عبر سياقيها: الدّاخلي والخارجي، ومن ثم فالعناوين ليست سوى رسائل مسكوكة مشحونة بعلامات دالة تعكس رؤية للعالم ذات طبيعةٍ إيحائيّة" ؛[٤] لذلك يجتهدُ الكتَّابُ في اختيارِ عنوانٍ يثير خيالَ المتلقي، ويشدُّ انتباههُ.

وأشار الدّكتور إياس حسن إلى القيمةِ الضمنيّة للعنوان، يقول: "تعود فكرة العنوان بالأساس إلى فكرة التصنيف ومبدأ التسمية الضروريين للتواصل بين البشر، إذ يميل العقل البشري إلى وضع الأشياء والمواد والكائنات والأفكار ضمن نظام بحيث يسهل التعامل معها، والتمييز فيما بينها"[٥]

ويقدّم الباحث المغربي جميل حمداوي تعريفاً أدقّ وأوضح للعنوان "فهو مفتاحٌ تقني يجسُ به السّيميولوجي نبضَ النَّصِ، ويقيس به تجاعيده، ويستكشفُ ترسباتهُ البنيويّة وتضاريسه التّركيبيّة على المستويين: الدّلالي والرّمزي" .[٦]

وينبغي أنْ نعلمَ أنَّ مصطلحَ العنوانِ يدلُّ على العلامةِ اللغويّةِ التي تنقلُ لنا معنى النَّصِ، ولا تستقيم صحّة الكتاب إلّا بها، فالعنوانُ يسمحُ للمتلقي باستشرافِ معنى النَّص من جهة، واكتشاف غرضِ المؤلفِ من

() سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، عمّان، ط١، ٢٠٠١م،ص٣٧.
() المرجع السّابق: ص٣٧.
() العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد فكري الجزار، الهيئة المصري العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٣١.
() سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي: عبد النّاصر حسن محمد، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٨.
() العصر الجديد الشعر العربي في مائة عام: إياس حسن- علم الدّين عبد اللطيف، أرواد للطباعة والنّشر، طرطوس، ط١، ٢٠٢٠م، ص٨.
() سيميوطيقا العنوان: جميل حمداوي، دار الرّيف للنشر والطّبع الإلكتروني، الناظور- تطوان، المملكة المغربيّة، ط٢، ٢٠٢٠م، ص٨.

جهةٍ أخرى، وكذلك منح المتلقي مساحةً واسعةً من التّأويلِ، وقد أُريدَ به أنْ يحققَ استقلاليّةَ العملِ، وإمكانيّةَ الرجوعِ إليه متى يشاء القارئ.

أهميّة العنوانِ:

لمّا كانت الكتبُ قد تعدّدتْ وكثرتْ كانَ لا بدَّ من ضرورةِ التّفريق بينها، وكان لا يفرّق بينها إلّا باعتمادِ العتبات النّصيّة، فقد اتّجهتْ أنظارُ الكُتّاب والدّارسين إلى ضرورةِ وجودِ المتعالياتِ النّصيّة ، واقترحوا مصطلحَ المناصِ الذي يُعرفُ من خلالِه الكِتابُ، وقد نقل لنا عبد الحق بلعابد تعريف "م. مارتان بالتار" للمناص، بأنَّه "مجموعُ تلك النّصوصِ التي تحيطُ بالنّص أو جزء منه، تكون مفصولةً عنه، مثل عنوان الكتاب، وعناوين الفصول، والفقرات الدّاخلة في المناص" ، ويعدُّ العنوانُ من أهمّ العتباتِ النّصيّة التي تقودُ المتلقي نحو فضاءِ المتنِ، ندخلُ من خلالِه إلى عالمِ النّصِ، وهذا ما أكّده الناقد سعيد يقطين عند تقديمه لكتاب (عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص)، بقوله: "ما أصعب اقتحام أي فضاء دون اجتياز العتبة، العتبة فضاء" ، فقد وقعَ الاختيارُ على العنوانِ في بداية التّدوين، ليكونَ مفهوماً واضحاً على سبيلِ التّعيينِ وإبعادِ الخلط بين الكتبِ، وأداةً تميّز النّصَ، وتمنحه هويّةً، إنَّه علامةٌ لغويّة مكثّفةُ الدّلالة ،ومشحونةٌ بالمعنى، تَختزنُ دلالاتِ النّص، وتشدُّ انتباه المتلقي إلى اختيارِ كتابٍ دون غيره، فهو أوّلُ علامة تواجه المتلقي، ومن خلاله يدخل إلى عالم النّص، لذلك لا بدَّ لنا من أن نستدركَ أهميّةَ العنونةِ، ونفهم غرضَ الكاتبِ من اختيار عنوانٍ دون غيره، وبيان مقاصدِه.

وقد كانَ الاهتمامُ بالعنونةِ قَديماً في دائرةِ الإهمالِ، "ولم تنزع القصيدةُ في أوربا نحو العنوانِ بصفةٍ جذريّةٍ إلَّا مع الرّومنسيّة" ، إلّا أنَّ الدِّراسات الحديثة أدركتْ أهميّةَ هذه العلامة اللغويّة، كونها تعدُّ حلقةَ وصلٍ بين النَّص والمتلقي، وجسراً يصلُ من خلاله المتلقي إلى النّصِ، "وهو أوّلُ شيفرة رمزيّة (Symbolical code) يلتقي بها القارئ، فهو أوّل ما يشدُّ انتباههُ، وما يجب التّركيز عليه وفحصه وتحليله، بوصفه نصّاً أوّلياً يشير أو يخبر أو يوحي بما سيأتي" ، فهو جزءٌ لا يتجزأ من المتنِ، لذّلك من المفترض أن يكون المؤلِفُ أكثرَ وعياً في اختيارِ عنوانات كتبه، وأن يمتلك قدراً كبيراً من التّركيز والدّقة، ليتمكّن من الإشارةِ إلى جوهرِ الكتابِ، محاولاً إثارةَ فضولِ المتلقي، وهذا ما يفسّر اجتهادَ الكُتَّابِ في اختيارِ عنوانٍ مناسبٍ يتوافقُ مع النَّص، فلا يمكنُ اعتبار العنوانِ مجرّد علامةٍ اعتباطيةٍ تعيينيةٍ، وليس اختيارُه بالمهمّةِ السّهلةِ، فإنَّه الأساسُ الذي يضمن المؤلفُ من خلاله نجاح عمله.

وانطلاقاً من أهميّةِ العنوان تشعّبتِ الدّراساتُ التي تهدفُ إلى وضعِ تصوّراتٍ، وترتيب نظرياتٍ ومقولاتٍ موسومةٍ بالاستشرافِ لعلمٍ سيكونُ له قيمةٌ مهمّةٌ في الأيامِ القادمةِ، فإنَّ المطّلعَ على الدّراساتِ النّقديّةِ واللغويّةِ والسّيميائيّةِ يُدركُ مدى انشغالِ الدّراسات الحديثةِ بالعتبات النّصيّة التي تساعدُ على إدراك فحوى النّص، وتقدّم

٢

() عتبات (جيرار جينيت من النّص إلى المناص): عبد الحق بلعابد، ص٣٠.
() المرجع السّابق: ص١٣.
() الشّعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها: محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١م، ص١٠٧.
() سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، ص٥٣.

سلسلةً من الدّلالات، والاهتمام بكلّ ما يتعلّق بالنّص، ويؤثرُ في كيفيّةِ إدراكه وتداوله، فقد أكّد "روبرت شولز"(Robert Schulze) أهميَّة العنوانِ "معتبراً أنَّ العنوانَ هو الذي يخلقُ القصيدةَ بقوله: لنبتدِئ بأصغر النّصوصِ الشعريّةِ في اللغة الإنجليزيّة أعني "مرثيّة" Elegy" ، فالعنوانُ هو الذي سمحَ لهذهِ المرثيّةِ أنْ تكون قصيدةً مستقلةً، وهذا ما توصّل إليه بعدَ أنْ تساءَل عن العنصرِ الأساس الذي جعلَ من هذه المرثيّة قصيدة، بقوله: "لولا عنوانُها لما كانت قصيدةً" ، فالعنوانُ هو البنيةُ الجزئيّةُ الّتي ترتبطُ بالبنيةِ الكبرى، وبالمقابل ترتبط هذه البنية الكبرى بالعنوان، فلا يحظى النّص باستقلاليته إلّا من خلال العنوان الذي يؤسس لهذه الاستقلاليّة، ويمنحه كذلك قيمةً عالية قادرةً على الانتقالِ به من المستوى العادي إلى المستوى الدّلالي.

وقيمةُ العنوانِ تتحدّد من خلالِ قدرته على الإفصاحِ عن مضمونِ النّص وفحوى دلالته، فهو أداةٌ من أدواتِ المعرفةِ، تساعدُ المتلقي على استكشافِ المتنِ ومحتواه الدّلاليّ، وهذا ما أشار إليه النّاقد المغربي عبد المالك أشهبون، وأكّدَ أنَّ "العنوانَ هو مفتاحُ الكتابِ، فلا يمكنُ للقارئ أن يتجاوبَ –نفسيّاً– مع أي عملٍ بدون إلقاءِ نظرةٍ أولى على عنوانِه" ، فنجدُ أنَّه يساعدُ المتلقي على[3] بناءِ تصّورٍ عامٍ عن النّصِ، هذا التّصور يساهم في كيفيّةِ قراءة وتتبع العلاماتِ والأفكارِ، ومعرفةِ مقاصدِ النّصِ، ومن خلاله نتمكّن من امتلاكِ الأدواتِ التي تساعدُنا على تفكيكِ المعنى السّطحي للوصولِ إلى الدّلالة العميقة والمقاصد الدّلاليّة الكبرى، فالعنوانُ "نظامٌ دلالي رامزٌ له بنيته السّطحيّة ومستواه العميق مثله مثل النّص تماماً" ، فنجد أنَّ قيمتَه تتعدى القيمة[4] التّعيينيّة، فهو بنيةٌ لغويّةٌ وشيفرةٌ دلاليّةٌ عميقةٌ يسبغُ عليها الكاتبُ دلالاتٍ رمزيّة ، قد تكون غير اعتياديّة، وهذا يجيز لنا أنْ نؤكّدَ إمكانيّةَ وجودِ تأويلاتٍ عدّة قد لا يتمكّنُ المتلقي من الوصول إليها.

وأشارَ النّاقدُ علي جعفر العلّاق إلى العنوان بوصفه طاقةً هائلةً موجهةً نحو المتلقي، "فهو يجسّدُ سلطةَ النّصِ وواجهته الإعلاميّة التي تمارسُ على القارئ إكراهاً أدبياً، ويمثلُ أيضاً الجزءَ الدّالَ على النّصِ، والرّامي إلى إخضاعِ المرسلِ إليه" ، فكلُّ عنوانٍ لهُ كيانٌ دلاليٌّ خاصٌّ به، يميّزُه من غيرِه من العنواناتِ، فهو معطى تواصلي يهدفُ إلى شدِّ انتباه المتلقي، وتحفيزِه على قراءةِ العملِ والاطلاعِ عليه، والإجابةِ عن التّساؤلاتِ التي قد تعتملُ في ذهنه، فمن خلالِ هذا النّظام الدّلالي يتمكّنُ المتلقي من سبرِ أغوارِ النّصِ والتّعرفِ على الأفكار، والكشفِ عن سلسلةٍ لا متناهيةٍ من المدلولاتِ والمعاني التي تشيرُ إلى المتن، وفهمِ مقاصدِ الباثِ الدّلاليّةِ، فهو يقدّم أدوات للقُراءِ، ويضعُ الأسسَ والأفكارَ التي تساهمُ في إنجازِ مهمّةِ التّأويلِ، وفهمِ المحتوى والكشفِ عن علاقته بالنّص، والوصولِ إلى القصديّةِ التي أرساها المؤلفُ، فهو جزءٌ مهمٌ من الأجزاءِ التي لا يُمكِنُ الاستغناءُ عنها.

ونجدّ أنَّ سمةَ الاقتصادِ اللغوي المرتبطة بالعنوان لا تقلّل من درجةِ تأثيره، لأنَّ "سيميائيّةَ العنوانِ تنبعُ من كونِه يجسّدُ أعلى اقتصادٍ لغوي ممكن ليفرضَ أعلى فعاليّة تلقٍ ممكنة، مما يدفعُ إلى استثمار منجزات

() سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي: عبد النّاصر حسن محمد، ص٧.
() العنوان في الرّوايّة العربيّة: عبد المالك أشهبون، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع- دار محاكاة للدراسات والنّشر والتّوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١١م، ص١٣.
() العنوان في الرّوايّة العربيّة: عبد المالك أشهبون، ص١٣.
() سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، ص٣٧.
() شعريّة الرّوايّة: على جعفر العلّاق، مجلة علامات، المجلد٦، ج٢٣، ١٩٩٧م، ص١٠١.

التّأويل" ، ويشكّلُ حلقةَ وصلٍ مهمّة بينه وبين النّص والمتلقي، ويجسّدُ بنيةً إنتاجيّةً مليئةً بالدّلالاتِ، وقد يكونُ بعضها إيحائيّاً، وقد "يغريك بإعادة قراءتهِ لأنَّه يفجّر فيك طاقات جديدة، وكأنَّه مع العنوانِ يبدأ فعل القراءة، ومن ثمّ فعل التّأويل" ؛ لذلك لا يقفُ المتلقي عندَ حدودِ المعنى المعجمي القاموسي الجامد، وإنَّما يتعدّاه إلى معنى دلالي عميق غني بالرّموز والشّفرات التي تحتاج إلى دراسة وفهم.

وقد استحضر الدكتور بسام قطوس رأي اللغوي الفرنسي أندري مارتينيه(André Martinet) الذي أكّد أهميّةَ العنوانِ، بوصفه الأساسَ الذي يستندُ إليه فعلُ التّلقي، والطّاقة الدّلاليّة التي تشي وتوحي بالمعنى، فهو يمثلُ "أعلى سلطة تلقٍ ممكنة، ولتميّزه بأعلى اقتصاد لغوي ممكن، ولاكتنازه بعلاقاتِ إحالةٍ (مقصديّة) حرّة إلى العالمِ، وإلى النّصِ، وإلى المرسلِ" ، كل ذلك يساهمُ في استحالةِ التّخلي عن اعتمادِه، بل الإشارة إلى ضرورةِ الانخراطِ في مساءلةِ العنوانِ، ومحاولة امتلاك مفتاح النّص للولوج من خلاله إلى المتنِ، فهو قاعدةٌ تواصليّةٌ مهمّةٌ تجمعُ بين النّصِ والمتلقي، "وغالباً ما يكون كلمة أو شبه جملة" ، وانطلاقاً من هذا الاقتصادِ اللغُوي، وقدرته على التأثيرِ في المتلقي، بدأت مسألةُ العلاقةِ بين العنوانِ والنَّصِ تثير انتباه الباحثين والنّقادَ، واندفعتْ الدّراساتُ الحديثةُ تؤسسُ النّظريات، وتضعُ الأسسَ التي تساعدُ على الإمساكِ بخيوطِ العلاقةِ التي تجمعُ بين العنوانِ والمتنِ، والخيوط التي تجعلُه طرفاً فاعلاً وفعّالاً في إدراكِ النّصِ، فهو يمثّلُ نصّاً موازيّاً، يمتلكُ عدَّةَ وظائفَ وأنواعَ تميّزهُ وتحدّدهُ، وتسمحُ للمتلقي بالتّعرفِ على العملِ من خلالِه، فهو الصّلةُ بين النَّصِ والمتلقي، وبذلك يكونُ العنوانُ متعالقاً مع النَّصِ، وأداةً تشدُّ انتباهَ المتلقي، وتدفعه إلى طرحِ العديد من التساؤلاتِ الجوهريّة، والكشف عن القدرةِ والفعاليّةِ التي تجعلُ منه أداةً لتصوّر النّصِ، "فالعنوانُ يتضمّن العمل الأدبي بأكمله، مثلما يستتبع هذا الأخير ويتضمن العنوان أيضاً" ، إنَّه بنيةٌ مكثفةُ الدّلالةِ قائمةٌ بذاتها يمكن تحليلها وقراءتها للوصولِ إلى آليةِ المعنى، وتحديدِ دلالةِ النّصِ أو الاقترابِ من مضمونه وأفكارِه، فنجدُ أنَّ العنوانَ يتماهى مع النَّصِ في بوتقةٍ واحدةٍ، وهذا التّفاعلُ آتٍ من الدّقة التي يعتمدها المؤلفُ عند اخيارِ عنوانات نصوصه.

وقد أكَّد الكاتب الأرجنتيني لويس بورخيس أهميّةَ العنوانِ باعتباره الأساس الذي يساهم في قراءة النَّص؛ فمن دون العنوان "لا يمكنُ التّقربُ من جمرةِ النَّصِ، وملامسةِ حركتها، واتجاهها في ثنايا النَّسيجِ النَّصي، وتشظياته" ؛ لذلك يحاولُ الكُتَّابُ اختيارَ العنّواناتِ التي تختزلُ معاني النَّصِ، وتتشابكُ فيها التّسمية مع أفكارِ المتن، لمساعدة المتلقي في الوصول إلى جوهرِ الدّلالةِ واكتشافِ البنى والمعاني، وتظهرُ العلاقةُ بين العنوانِ والنَّصِ من خلالِ اعتبارِ العنونةِ بوابةٌ ندخلُ من خلالها عالمَ النَّصِ، فهي تعدُّ "أولى المراحل التي يقفُ لديها الباحثُ السّميولوجي لتأملها واستنطاقها قصد اكتشاف بنيانها وتركيبها ومنطوقاتها الدّلاليّة ومقاصدها التّداوليّة،

() سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، ص٣٦.
() المرجع السّابق: ص٣٦.
() سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، ص٣٩.
() العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد فكري الجزار، ص٢١.
() عتبات النَّص: البنية والدّلالة: عبد الفتاح الحجمري، منشورات الرّابطة، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م، ص١٨.
() شعريّة الرّوايّة: على جعفر العلّاق، ص١٠١.

وباختصار فإنَّ العناوين عبارة عن علاماتٍ سيموطيقيةٍ تقومُ بوظيفة الاحتواء لمدلول النَّص" ، فهو ليس تعبيراً لسانيّاً منفصلاً عنهُ، وإنَّما هو وليدُ النَّص وجوهرهُ، ويأتي به المؤلفُ ليشيرَ إلى مضمونِ المتنِ ومعناه وقصديته، لكنَّ بعضَ الكّتابِ والدّارسين كانتْ لهم وجهةُ نظرٍ مختلفةٍ حولَ موضوعِ ارتباطِ العنوانِ بالنَّصِ، وتأكيد صعوبةِ قراءةِ العنواناتِ إلَّا من خلالِ الاطلاعِ على النَّصِ، فالنَّصُ بالنّسبةِ إلى هؤلاء هو البوابةُ التي ندخلُ من خلالِها، ونفهمُ دلالة العنوان بعد الخروج منها، وتفسيرهم لذلك "أنَّ العنوانَ مكثفٌ ويفتقرُ إلى سياقٍ، وهذا الافتقار إلى السّياقِ يمنحهُ دلائلَ كثيرة، ويجعلهُ يمتلكُ فضاءً واسعاً من الدّلالات التي يصعب إن لمْ نقلْ يستحيل حصرها" ، فهذا لا يعني أنَّ جميعَ العنوانات تمتلكَ وظيفةً دلاليّةً، وإنَّما هناكَ بعض العنوانات التي لا تتجاوز الوظيفةَ التّعيينيّةَ.

ويعدُّ العنوانُ أمارةً فارقةً تفرّقُ بين كتابٍ وآخر، وتمنحُ النَّصَ خصوصيّةً وقيمةً وجوديّةً تمييزيّة، لأنَّ الكِتابَ الذي لا عنوانَ له، كالمرءِ الذي لا يملكُ هويّةً، يصعبُ الاستدلالُ عليه، ويستحيلُ الاستشهادُ منه؛ لذلكَ فإنَّ الوظيفةَ التّعيينيّةَ هي الوظيفةُ التي "تشتركُ فيها الأساميّ أجمع، وتصبحُ بمقتضاها مجرّدَ ملفوظاتٍ تفرّقُ بين المؤلفاتِ والأعمال الفنيّة" ، ولا تعدُّ مسألةُ اختيارِ العنوانِ مسألةً اعتباطيّةً عشوائيّةً، وإنَّما تعتمدُ على وعي المؤلفِ بأهميَّةِ اختيارِ عنوانٍ يتوافقُ مع المتنِ ويشيرُ إليه، ويشدُّ من خلاله وعي المرسلِ إليه، ويؤثرُ في اختيارِ المتلقي للنص دون غيره، فهو أوّلُ علامةٍ لغويّةٍ تصادفه، لذلك لجأ معظمُ الكتّابِ إلى التّرميزِ اللغوي لجعلِ الكِتابِ ضمنَ دائرةِ الاستعمالِ، وللسماحِ للمتلقي بمعرفةِ آليةِ تلقي النّصِ.

ويختلفُ الكُتَّابُ في طريقةِ صوغِ العنواناتِ، فنجدُ أنَّ بعضَهم يركّزُ على العنواناتِ التّعيينيّةِ، وبعضهم يهتمُ بالعنواناتِ الإغرائيّةِ، فقد أكَّد الدّكتور "محمد عبد المطلب" أنَّ العنوانات الشّعريّة قد دخلتْ دائرة الإبداعيّة، ومعنى ذلك الإشارة إلى تركيزِ الاهتمام بالشّكلِ الخارجي والدّلالي لهذه العنوانات، فأصبحتْ الدّلالةُ مكثفةً وأصبحنا أمام مساحة واسعة من التأويل ، لذلك فإنَّ مهمّةَ اختيارِ العنوانِ ليستْ بالأمرِ البسيطِ، بل تحتاجُ إلى جهدٍ عقلي يمكّن من خلاله الوصول إلى عنوانٍ يتوافق مع النَّص، ويثيرُ المتلقي ويدفعه إلى اختيارِ العملِ والإقبالِ عليه، وخلقِ أفقٍ توقعي يسمحُ لهم بتأسيسِ فرضياتٍ تبنى على التّقابلِ بين بنيةِ النَّصِ والعنوانِ.

وقد اختلفَ الكتَّابُ في كيفيّةِ اختيارِ العنوانات، فنجدُ أنَّ بعضهم اعتمدَ على تحديدِ العنوانِ قبلَ الشّروعِ في كتابةِ المتنِ، وهذا ما أشارَ إليه الكاتبُ المصري إدوار الخراط فهو يفكّر في العنوان قبل أن يخط أي كلمة من العمل ، وقد أشار النَّاقد الفلسطيني جْبرا إبراهيم جبرا إلى أهميّةِ اختيارِ العنوانِ، بقوله: "العنوانُ مهمٌ جداً عندي، فإذا كنتُ محظوظاً وجاءني أثناءَ الكتابةِ، فإنَّهُ يساعدني على الاندفاعِ به" .

وتختلفُ طريقةُ صوغِ العنوانِ باختلافِ وعي الكاتبِ وطبيعةِ المتلقي، فقد يأتي العنوانُ واضحاً يستهدفُ فئةً وشريحةً معينةً من القراءِ ويتناسبُ مع غرضِ المتلقي ، وهذا ما أشار إليه ليو هويك بقوله: "هو مجموعة

() سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي: عبد الناصر حسن محمد، ص٧.
() سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، ص٤٣.
() المرجع السّابق: ص٥٠.
() العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد فكري الجزار، ص٦٦.
() العنوان في الرّوايّة العربيّة: عبد المالك أشهبون، ص٤٦.
() معايشة النمرة وأوراق أخرى: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر- دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت- عمّان، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٨١-٢٨٢.

من العلامات اللسانية قد ترد طالع النّص لتعينه وتعلن عن فحواه وترغب القراء فيه" ، فنجدُ أنَّ الكتبَ الدّينيّةَ [1] واضحة العنوانات، ومثال ذلك: كتاب (فقه السّيرة) للشيخ محمد الغزالي فكانت غايةُ الكتاب الحديث عن سيرة رسول الله ﷺ وهذا يتوافق مع العنوان، وما يؤكّد لنا ذلك قول الشيخ محمّد الغزالي: "وقد بذلت وسعي في إعطاء القارئ صورةً صادقةً عن سيرة رسول الله ﷺ" [2] .

وكتاب (تفسير القرآن العظيم) للإمام ابن كثير (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) ويفيد هذا العنوانُ إعلام المتلقي غرض المؤلف وهو تفسير ما عجز عن فهمه من كلام الله، وفي ذلك إفادة لتوضيح المجهول، وتنفيذ لأوامر الله، وهذا ما أشار إليه ابن كثير من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]، يقول: "فذمَّ اللهُ تعالى أهل الكتابِ قبلنا بإعراضهم عن كتابِ الله تعالى إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله. فعلينا –أيها المسلمون– أن ننتهي عمَّا ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه" [3] .

وكتاب (حياة المسيح) للناقد عباس محمود العقاد، يقود العنوان هنا إلى إدراك المقصود وهو الحديث عن حياة السَّيد المسيح عليه السلام، وأراد المؤلف أن يحققَ غايةً وغرضاً، "وهو جلاء العبقريّة المسيحيّة في صورة عصريّة" [4] .

وهناك بعضُ العنوانات التي تستهدفُ رجالَ السياسةِ، ومثال ذلك: كتاب (العبوديّة المختارة) للكاتب الفرنسي إيتان دو لا بويسي (Étienne de La Boétie)، والعنوانُ هنا لا بدَّ منهُ في توضيح صورة العبوديّة، وأمَّا هذه العبوديّة فإنَّها ترتبط بالسياسة وأنظمة حكم القوات الملكيّة في فرنسا التي مارست الاضطهاد والتّفرقة الدّينية بين البروتستانت والكاثوليك، وكذلك الاضطرابات والعصيان ضد ممارسات العنف والتّسلط والتّعسف الضريبي [5] .

وكتاب (علم السّياسة الأسس) للكاتب ستيفن دي تانسي(Stephen de Tansey)، والنظر في العنوان يقودنا إلى إدراك المتن الذي يتوافق معه؛ فهو يتحدّث عن علمِ السّياسةِ وكيفيّة فهمها، والإشارة إلى النّشاط السّياسي وتنفيذه، فلكلّ نشاط سياسي سياق يتحقق فيه، وأهداف يسعى من أجلها، وكذلك يسعى الكتاب إلى النظر في إحداث الديمقراطيات وصياغة القرارات، وإظهار دور الأفراد في السّياسة [6]

ونجدُ أنَّ العنوانات العلميّة تكون واضحةً ذات دلالةٍ قصديّة، ومثال ذلك: كتاب (أخلاق الطبيب) لأبي بكر الرّازي(٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، والعنوان هنا إنَّما يدلُّ على معنى واضحٍ وصريحٍ، وذلك المعنى هو وصايا قدّمها

() براعة الاستهلال في صناعة العنوان: محمود الهميسي، مجلة الموقف الأدبي، العدد: ٣١٣، السنة السابعة والعشرون، أيار، ١٩٩٧م، محرم-١٤١٨هـ، ص ١١٢.

() فقه السيرة: محمد الغزالي، راجعه: الشيخ محمد ناصر الألباني، دار الشّروق، القاهرة- بيروت، ٢٠٠٠م، ص٦.

() تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص٩.

() حياة المسيح في التّاريخ وكشوف العصر الحديث: عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م، ص١٥٩.

() العبوديّة المختارة: إيتان دو لا بويسي: صالح الأشمر، دار السّاقي، بيروت، ط١، ٢٠١٦م، ص٨.

() علم السّياسة الأسس: ستيفن دي تانسي، تر: رشا جمال، مراجعة: جمال عبد الرحيم، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٣.

الرازي للطبيب لتكون له عوناً وسنداً وتحقق له إقبال الناس عليه، ومنها: ضرورة حفظ أسرار المريض، وعلاج الفقراء، وكيفيّة استخدام الدواء، والامتناع عن المعالجة بالتّجربة، وضرورةِ تواضع الطّبيب .[١]

وكتاب (تطوّر الأفكار في الفيزياء من المفاهيم الأوليّة إلى نظريتي النّسبة والكمّ) للمؤلفين ألبرت أينشتاين(Albert Einstein) وليوبولد إنفيلد (Leopold Infeld)، وقد عُلِم من خلال العنوان أنَّ الكتابَ يتحدّثُ عن تطوّر الأفكار والنّظريات الفيزيائيّة، وهذا ما نجدهُ في المتنِ الذي يشيرُ إلى بداية ظهور الفيزياءِ مع اختراع الكتلة وهي مقدار فيزيائي، والقوة التي تؤثر في الأجسام، والمرجع العطالي، كل ذلك ساهم في ظهور الصّورة الميكانيكيّة التي تهتم بحركة الأجسام والقوى الواقعة عليها، ومع ظهور نظريّة النّسبة –أشهر النّظريات التي تعنى بالجاذبيّة– انتقلت الفيزياء إلى مرحلة أخرى من التّطور، ثم ظهرت نظريّة الكموم ، وهنا تتوضّح لنا أهميّةُ العنوان، فهو ذو فاعليّة في توجيه المتلقي نحو اهتماماته؛ لأنَّه "يعلنُ عن طبيعةِ النّصِ، ومن ثم يعلنُ عن نوعِ القراءةِ التي تناسبُ هذا النّص" ، ولا يعني هذا أنَّ جميع العنّوانات تأتي واضحةَ الدّلالة، فقد نجدُ بعضها يحتاجُ من المتلقي إلى وعي عالٍ يساهمُ في إدراكِ دلالتها، ومحاولةِ تصوّرِ قصديّة الباث، وقد عبّر الفيلسوفُ الألماني غوتهولد إفرايم ليسينغ (Gotthold Ephraim Lessing) عن أهميّةِ تطبيقِ الوظيفةِ الإغرائيّةِ عند اختيارِ العنوانِ، بقوله: "ينبغي ألّا يكونَ العنوانُ مثلَ لائحةِ الأطعمة فعلى قدر بعده عن كشف فحوى الكتاب تكون قيمته" ، ويستندُ هذا النّوعُ من العنوانَاتِ إلى الإيحاءِ، ويهدفُ إلى إثارةِ انتباه المتلقي، ومنحه مساحةً واسعةً من التأويلِ، للوصولِ إلى الدّلالةِ أو الاقترابِ من قصديّةِ المرسلِ، كما في عنواناتِ الكتبِ الآتيةِ: كتاب (المبسوط) للإمام شمس الأئمة السّرخسي، والعنوان هنا يدفع المتلقي نحو الكشف عن توقعاته التي قد تصيب وقد تخطيء، ومحاولة معرفة قصديّة المؤلف تتحقق مع قراءة مقدّمة الكتاب؛ فنجدُ أنَّه كتابٌ يتحدّث عن علم التّوحيد وأصول العبادة، يقول الإمام أبو بكر محمد بن سهل السّرخسي: "الأصلُ في علم التّوحيد التّمسك بالكتابِ والسّنة ومجانبة الهوى والبدعة كما كان عليه الصحابة والتابعون والسّلف الصّالحون رضوان الله عليهم أجمعين[...] وقد عزمت على جمع أقاويلهم في تأليف هذا الكتاب تذكرة لأولى الألباب" ؛ فالعنوان هنا لا تتّضح دلالته إلّا من خلال قراءةِ المتن.

وكتاب (رَدّ المُحتَارِ عَلَى الدُّرِ المختارِ شرح تنوير الأبصار) للإمام ابن عابدين الحنفي (١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م)، ونجدُ أنَّ العنوانَ هنا يقودُ المتلقي نحو معرفة دلالته، والكشف عن علاقته بالنّص، ومحاولةِ حلّ هذه الشّفرة اللغويّة، التي لا تظهر دلالته إلّا مع بداية نص الكتاب، يقول الإمام ابن عابدين: "قدمت العبادات على غيرها اهتماماً بشأنها، والصّلاة تالية للإيمان، والطهارة مفتاحها بالنَّص، وشرط بها مختص، لازم لها في كل الأركان" ، وإذا تأملنا هذا الكلام، نجد[٦] أنَّه يقودنا إلى إدراك الدّلالة الشّرعيّة للنص، ولعلّ اختيار العنوان (رَدّ

---

(١) أخلاق الطّبيب: أبو بكر الرّازي، تح: عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، ص٢٧-٣٧-٤٤-٧٧-٨٤.

(٢) تطوّر الأفكار في الفيزياء من المفاهيم الأوليّة إلى نظريتي النّسبيّة والكمّ: ألبرت أينشتاين، وليوبولد إنفيلد، تر: أدهم السّمان، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٩، ص٢١١.

(٣) سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي: عبد الناصر حسن محمد، ص١٠.

(٤) براعة الاستهلال في صناعة العنوان: محمود الهميسي، ص١١٤.

(٥) المبسوط: أبو بكر محمد بن سهل السّرخسي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م،ج١، ص٢.

(٦) رَدّ المُحتَارِ عَلَى الدُّرِ المختارِ شرح تنوير الأبصار: ابن عابدين الحنفي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشّيخ علي محمّد معوّض، تقديم: الدّكتور محمد بكر إسماعيل، دار عالم الكتب، دار الكتب العلميّة، الرياض- بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ص١٨٣-١٨٤.

المُحتَارِ عَلَى الدُّرِ المختارِ شرح تنوير الأبصار) إنَّما يكونُ مرتبطاً بإظهار المسائل الفقهيّة وبيان مواضع الخلافِ، وإظهار الدّلائل من القرآن الكريم، فيكون المحتارُ قد اهتدى واتّضحت له المسائلُ ، ويعرض له النّور عند امتلاك المعرفة.

وكتابُ (البارق في قطع السّارق) للإمام جلال الدّين السّيوطي(٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، فإنَّ العنوانَ هنا إنَّما يشيرُ إلى وجودِ سارقٍ، ومحاولة المؤلف من خلال هذا الكتاب الإشارة إليه، لكنَّ حقيقةَ هذا السّارقِ لا تظهرُ إلّا مع قراءة المتن، ليتّضح لنا أنَّ الإمام السّيوطي يتحدّث عن السّارقين في العلم، وهم عنده: سراق الحديث، وسراق التّصانيف، وسراق الشّعر، وهنا محاولةٌ للحفاظ على الملكيّة الفكريّة ، وهذه العنوانات التي أشرنا إليها تقودُ المتلقي إلى التّفكيرِ، والرّغبةِ في الاطلاعِ على مضمونِ المتنِ، وقد يستندُ بعضُ الكتّابِ إلى حيلةٍ دلاليّة وهي اختيارُ عنوانات مخالفة لدلالةِ النّصِ، ولأفقِ توقعِ المتلقي، فيجدُ نفسه أمامَ حالةٍ من تضادِ المعنى بين العنوانِ والمتنِ، ويقعُ ضحيّة للعبة لغويّة دلاليّة، ومثالُ ذلك ما أشارَ إليه الدّكتور محمود الهميسي عند استشهاده بكتابِ "الفرح(la joie) " للكاتبِ الفرنسي برنانوص (Bernanos) ، والغريب أنَّ العنوان هنا يخالف المتن، فهو يخلو من أي فرح أو سعادة .[٢]

وقد لجأ بعض الكتاب إلى اعتماد العنوانات المسجوعةِ، التي تستحق الإشارة إليها، ومثال ذلك: كتابُ (يتيمة الدّهْر في محاسِنِ أهلِ العصر) للثعالبي(٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م) واحتوى هذا الكتاب على مَحَامد وَمَكارم أشعار أهل حمدان والشّام والموصل، ومحاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان، وفضائل أشعار أهل خرسان ، فكان العنوانُ يشير إلى محاسنّ أشعار أهل العصر، وقد استند الثّعالبي إلى السّجع في صناعة هذا العنوان، فقد وقع السجع المتوازي بين (الدّهر والعصر) فنجدُ أنَّ الأوزان قد اتّفقت، وكذلك القافية وهي حرف الراء.

وكتاب (تحفة المودود بأحكام المولود) للشيخ ابن قيّم الجوزيّة (٧٥١هـ/ ١٣٤٩م)، الذي يوضّح في مقدّمة كتابه موضوع المتن، يقول: "وهذا كتابٌ قصدنا فيه ذكر أحكام المولودِ المتعلقة به بعد ولادته ما دام صغيراً: من عقيقته وأحكامها، وحلقِ رأسه، وتسميته، وختانه، وبولِه، وثقبِ أذنه، وأحكام تربيته، وأطواره من حين كونه نطفة إلى مستقرّهِ في الجنة أو النّار" ، ولم يكتفِ ابن قيّم الجوزيّة باعْتماد الجزء الثّاني من العنوان وهو "أحكام المولود" ليكون سمةً لكتابه، وإنّما أضاف إليه "تحفة المودود"؛ وربّما غايته من هذا التّماثل الصّوتي بين "المودود والمولود" التأثيرِ في المتلقي، وإلزامه بالالتفاتِ إلى كتابه وسماعه، ولسهولة الحفظِ والإدراكِ.

ولم يتجاهل الدّارسون والنّقاد هذه الأهميّة التي وسمَ بها العنوانُ، وهذا ما أكَّده الباحثُ المغربي جميل حمداوي، فالعنوان من وجهةِ نظرهِ يُعتبرُ "مفتاحاً أساسياً بامتياز، يتسلّح به المحلل للولوج إلى أغوار النَّصِ العميقة بغية استنطاقها وتأويلها، وبالتَّالي يستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النَّص من أجل تركيبه عبر استكناه

() البارق في قطع السّارق: جلال الدّين السّيوطي، تح: الدكتور عبد الحكيم الأنيس، التدقيق اللغوي: شروق محمد سلمان، إخراج: محيي الدين حسين يوسف، دائرة الشؤون الإسلاميّة والعمل الخيري، دبي، ط١، ٢٠١٢م، ص٤٧-٤٩-٥٧.

() سيمياء العنوان: بسام موسى قطوس، ص٤٢.

() يتيمة الدّهْر في محاسِنِ أهلِ العصر: الثعالبي، تح: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ج١، ص٣٠.

() تُحفةُ المودود بأحكامِ المولودِ: أبو عبد الله محمد بن قيّم الجوزية، تح: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م، ص٥.

بنياته الدلاليّة والرمزيّة" ، فمن المدهشِ امتلاكُ العنوانْ فاعليّةً تأثيريّةً وهيمنةً على النّصِ، فهو الذي يؤسسُ لعلاقةٍ منطقيّةٍ تمتدُ لتجمعَ بينه وبين النَّصِ من جهة، وبينه وبين المتلقي من جهةٍ أخرى، لذلك بدأت الدّراساتُ الحديثةُ تؤسسُ لنظرياتٍ ومفاهيم تعينُ الكتّابَ على فهمِ أهميّةِ العنوانِ قبل اختياره، وتُعينُ المتلقي على فهمِ كيفيّةِ قراءةِ العنوانِ، وفكِ شيفراته اللغويّة والدّلاليّة، ويعدُّ النّاقد الفرنسي جيرار جينيت (Gérard Genette) من أوائلِ النّقادِ الذين اهتموا بعلمِ العنونةِ، وأدركوا أهميّةَ العنوانِ، وله يعودُ الفضلُ في ضع أسسِ دراسةِ العنوانِ، "ولا سيما في كتابه (العتبات/ Seuils)، وقد نشرهُ سنة ١٩٨٧" [٢] .

الاستنتاجات والتّوْصِيَاتُ:

١- يعدُّ العنوانُ علامةً لغويّةً يجمع بين التّسمية ومنحِ النَّصِ هويّة، وتحقيقِ الإيحاءِ وترغيب المتلقي ودفعه نحو قراءة المتنِ والاطلاعِ عليه.

٢- يسهم العنوانُ في رواج النَّصِ، فهو الأساس الذي يستند إليه نجاح العملِ؛ لذلك يجب على المؤلفِ أن يتأهبَ لاختيارِ عنوانٍ يبلغ غايتهُ ويعرب عن مضمون المتنِ، ويكشف عن أفكارهِ ويوضح موضوعه، ويتّسم بالكثافة الدّلاليّة.

٣- العنوانُ مهمٌ للمتلقي، فهو ليس مجرّد علامة تعيينيّة، وإنَّما يُحتاجُ إليه إلى إشراك القارئ في عملية إنتاج الدلالة، والوصول إلى أفكار جديدة قد لا تقع في ذهن صاحب النَّص.

٤- العنوانُ علامةٌ وصفيّةٌ يتمكّن المتلقي من خلالها من معرفة قصديّة النَّص ومضمون المتنِ، فإذا توافق مع ميوله واهتماماته مال إليه، وإن كان يخالف قراءاته انصرف عنه وأهمله.

المصادر والمراجع:

١- *أخلاق الطّبيب*: أبو بكر الرّازي، تح: عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٢- *البارق في قطع السّارق*: جلال الدّين السّيوطي، تح: الدكتور عبد الحكيم الأنيس، التدقيق اللغوي: شروق محمد سلمان، إخراج: محيي الدين حسين يوسف، دائرة الشؤون الإسلاميّة والعمل الخيري، دبي، ط١، ٢٠١٢م.

٣- *براعة الاستهلال في صناعة العنوان*: محمود الهميسي، مجلة الموقف الأدبي، العدد: ٣١٣، السنة السابعة والعشرون، أيار، ١٩٩٧م، محرم-١٤١٨هـ.

٤- *تُحفةُ المودود بأحكامِ المولود*ِ: أبو عبد الله محمد بن قيّم الجوزية، تح: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٥- *تطوّر الأفكار في الفيزياء من المفاهيم الأوليّة إلى نظريتي النّسبيّة والكمّ*: ألبرت أينشتاين، وليوبولد إنفيلد، تر: أدهم السّمان، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٩.

٦- *تفسير القرآن العظيم*: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

() سيميوطيقا العنوان: جميل حمداوي، ص٨.

() المرجع السّابق: ص١٧.

٧- *حياة المسيح في التّاريخ وكشوف العصر الحديث*: عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م.

٨- *رَدّ المُحتَارِ عَلَى الدُّرِ المختارِ شرح تنوير الأبصار*: ابن عابدين الحنفي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشّيخ علي محمّد معوّض، تقديم: الدّكتور محمد بكر إسماعيل، دار عالم الكتب، دار الكتب العلميّة، الرياض- بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٩- *سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي*: عبد النّاصر حسن محمد، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠- *سيمياء العنوان*: بسام موسى قطوس، وزارة الثقافة، عمّان، ط١، ٢٠٠١م.

١١- *سيميوطيقا العنوان*: جميل حمداوي، دار الرّيف للنشر والطّبع الإلكتروني، الناظور- تطوان، المملكة المغربيّة، ط٢، ٢٠٢٠م.

١٢- *الشّعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها*: محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١م.

١٣- *شعريّة الرّوايّة*: على جعفر العلّاق، مجلة علامات، المجلد٦، ج٢٣، ١٩٩٧م.

١٤- *شعرية النّص الموازي (عتبات النَّص الأدبي)*: جميل حمداوي، دار الرّيف للطبع والنّشر الإلكتروني، المملكة المغربيّة، ط٢، ٢٠٢٠م.

١٥- *العبوديّة المختارة: إيتان دو لا بويسي*: صالح الأشمر، دار السّاقي، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

١٦- *عتبات (جيرار جينيت من النّص إلى المناص)*: عبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف- الدار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر- بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٧- *عتبات النَّص*: البنية والدّلالة: عبد الفتاح الحجمري، منشورات الرّابطة، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م.

١٨- *العصر الجديد الشعر العربي في مائة عام*: إياس حسن- علم الدّين عبد اللطيف، أرواد للطباعة والنّشر، طرطوس، ط١، ٢٠٢٠م.

١٩- *علم السّياسة الأسس*: ستيفن دي تانسي، تر: رشا جمال، مراجعة: جمال عبد الرحيم، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٢٠- *العنوان في الرّوايّة العربيّة*: عبد المالك أشهبون، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دار محاكاة للدراسات والنّشر والتّوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١١م.

٢١- *العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي*: محمد فكري الجزار، الهيئة المصري العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٢٢- *فقه السيرة*: محمد *الغزالي*، راجعه: الشيخ محمد ناصر الألباني، دار الشّروق، القاهرة- بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٣- *لسان العرب*: ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط3، ٢٠٠٤م

٢٤- *المبسوط:* أبو بكر محمد بن سهل السّرخسي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٥- *مختار الصحاح*: محمّد بن أبي بكر الرّازي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٦- *المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير*: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، صححه: حمزة فتح الله، راجعه: محمد حسنين الغمراوي بك، المطبعة الأميريّة، القاهرة، ط٦، ١٩٢٦م.

٢٧- *معايشة النمرة وأوراق أخرى*: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر- دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت- عمّان، ط١، ١٩٩٢م.

٢٨- *يتيمة الدّهْر في محاسِنِ أهلِ العصر*: الثعالبي، تح: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.